الشعر والحياة

« مهداة إلى صديقنا الشاعر الكبير الأستاذ محمود غنيم . »

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يقول الرافعي الخالد : « لو سئلت أزمان الدنيا كيف فهم أهلها معاني الحياة السامية ، وكيف رأوها في آثار الألوهية عليها ، لقدم كل جيل في الجواب على ذلك معاني الدين ومعاني الشعر . وليست الفكرة شعراً إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة ، فهي في ذلك علم وفلسفة . . وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة ، على دقة ولطافة . . كما تتحول في ذهن الشاعر الذي يلونها بعمل نفسه فيها ، ويتناولها من ناحية أسرارها

فالأفكار مما تتمانيه الأذهان كلها ، ويتواطأ فيه قلب كل إنسان ولسانه . . بيد أن فن الشاعر هو فن خصائصها الجميلة المؤثرة ، وكأن الخيال الشعري نحلة من النحل ، تلم بالأشياء لتبدع فيها المادة الحلوة للذوق والشعور . . والأشياء باقية بعد كما هي ، لم يغيرها الخيال ، وجاء منها بما لا تحسبه منها ، وهذه وحدها هي الشاعرية . . »

ويقول الزيات الفنان : « الفكر والخيال والعاطفة هي ملكات النفس الأدبية الثلاث ، يصدر عنهن فيض القريحة ، ويرد إليهن إلهام العبقرية ؛ ولكن الشعر لا يهيمن عليه إلا الخيال والعاطفة ؛ أما حاجته إلى الفكر فمحدودة بمقدار ما يضيء لهما الطريق حتى يأمنا الضلالة

فالفكر للعبقرية بمثابة المتن ، والخيال والعاطفة لها بمثابة الجناحين ، فإذا تغلبا عليه كان الشرود والزيغ ، وإن تغلب عليهما كان الجفاف والعقم . ومن هنا جودوا أكثر ما قال أبو العلاء وأقل ما نظم أبو الطيب من الشاعرية »

وآراء أستاذي الجليلين المتقدمة هي لب ما أهدف إلى التعبير عنه في هذا الموضوع الذي لا أحسب أن أحداً غير ابني بجدتها (١) — الرافعي والزيات — قد استطاع أن يشبع نهمي وتحرقي إلى قراءة قول شاف واف فيه

فالشعر تعبير ذاتي ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون

تعبير غير مطرد ، عارض غير مستديم

وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر ، فنقول إن ذاتية الشعر ليست ذاتية خالصة ، فإن فيها طرفاً من الموضوعية . فكون الشعر خاصا لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم بوصفه تعبيراً ، والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية ؛ وعلى قدر اقتدار الفنان على أن يضمن شعره جانبي الذاتية والموضوعية تكون عبقريته

فطبيعة الشعر — حسب هذا التحليل — لا تسمح بأن يكون لغة حياة، أو لغة حوادث ومادة حوار.. فالمسرحية الشعرية مثلا كائن فني ، يتبدى في ثوب ممتاز ، ثوب غريب على الواقعية، إلا أنه على قدر نجاح هذا الكائن الفني الغريب في تمثيل الحياة ، يكون نجاح الفنان وتوفيقه

إن الشعر ليحمل في طبيعته الذاتية قوى تأثيرية ، يحتاج إليها تصوير الحياة من وجهة نظر الفنان . . فوزن القصيدة — وهو في صميمه مدى الجو النفسي لأعماق الفنان حين الخلق الفني — لم تسلك فيه الألفاظ عبثا

ليس البحر الشعري مجرد تقسيم مقطعي للجملة الشعرية ، ولكنه زمن نفسي للتعبير الذي تحمله العبارة

ليست القافية مجرد لفظة . . ولكنها لمحة تتكرر على وحدة الموضوع . . وفي ذلك منتهى الشعور العميق بتكامل النفسية ، أداها الشاعر الفنان على غير وعي منه ؛ ولم يكن الشاعر الفنان قد قرأ تكامل منازعه النفسية في كتب (أدلر) (٢) أو غيره بل إن علم النفس هو الذي استقصى قوانينه من عمق الشعراء ،

(١) أي اللغة العربية ، ورحم الله الأول ونفع بالثاني وبارك للعربية في عمره

(٢) يعد « أدلر » زعيم مدرسة التحليل النفسي بعد « فرويد » ، وتقوم نظريته على أساس اتجاه النوازع النفسية للتكامل في سبيل السيطرة

وارجع — إن شئت — إلى كتاب « علم النفس الفردي » تأليف الأستاذ إسحق رمزي

جولة فى الأدب العربى

الأستاذ حمدى الحسينى

أدب الجاهلية أدب شخصى وجدانى يمثل غرائز الفرد ومشاعره ووجدانه . ولا يعتد هذا التمثيل لأكثر من القبيلة التى ينتسب إليها الشاعر ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحكم النظام القبلى القائم على التعاون للدفاع عن النفس وحفظ الحياة .

والأدب الجاهلى يتميز عن الأدب العربى فى العصور الأخرى التى تلته بالصدق والصراحة وهما الفضيلتان اللتان كان يتحلى بهما العربى فى ذلك العهد ، فإذا وصف الشاعر شجاعته أو شجاعة فارس من قبيلته كان صادقاً لأنه إنما يصف شعوره الخاص بشجاعته أو ما وقع تحت حسه وإدراكه من شجاعة ممدوحة . وإذا وصف نفسه أو قبيلته بالكرم فهو صادق كل الصدق فى الوصف لأنه يصف حقيقة واقعة لا يعتريها شئ من التدليس أو الادعاء الكاذب . وإذا وصف نوعا من الجمال فإنما يصف ما يحس به من شعوره بهذا الجمال ، وإذا باح بعواطفه فى حبه فلا يخالجنا شك فى أنه يحب حقا بالقدر الذى وصفه وباح به

وإنك لترى فى الأدب الجاهلى هذا النزوع القوى للمقاتلة وهى الغريزة التى أثارها فى نفس العربى النظام القبلى وما يقتضيه هذا النظام من المزاحمة على اللقمة والجرعة وما إليهما من أهداف الرغبات الغريزية التى لا غنى عنها فى هذه الحياة . وقد كانت هذه الغريزة وما يتفرع عنها من الانفعالات والعواطف والنوازع

والذى أراه سليما أن الفنان الحق تعبير صاف ، خالص من الشوائب ، عن أعمق ، وأصرح ، وأصدق المشاعر الإنسانية

هو الشخص الذى إذا أتيح لسائر أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه منظار عادى ، كان هو وحده الذى يملك « الميكرسكوب » . . وما أصدق وأدق المثل الإنجليزى القديم الذى يقول: A Poet is born and not made

أحمد مصطفى حافظ

المنبع القوى للفضائل والأخلاق العربية التى مثلها الأدب فى ذلك العهد

وقد ظل هذا الأدب ممثلا للنفسية العربية الخالصة ومرآة تنعكس عليها هذه النفسية بقوتها وحرارتها وبساطتها فتبدو فضائلها ومساوئها ظاهرة واضحة ، فترى الصدق والإخلاص والصراحة والعفة والشجاعة والمروءة والكرم ، وترى الأنانية وسرعة الغضب وحدة المزاج والقسوة والانتقام

ظل العرب فى جاهليتهم كما ذكرنا ، وظل أدبهم كذلك حتى أشرق عليهم وعلى العالم نور الإسلام القوى فانبهرت عيونهم من قوة النور ، وارتجت نفوسهم من شدة المفاجأة ، فأغمضوا عيونهم فى أول الأمر لأنها أضعف من أن تحتمل هذا النور القوى ، وانكمشوا عن الإسلام لأنه فوق ما تحتمل النفوس البسيطة الوادعة على رمال الصحراء ، وفوق ما تستوعبه عقولهم الساذجة المحدودة بحدود تلك الحياة الضيقة ، ولكن نور الإسلام قد غمرهم غمراً ونفذ إلى عيونهم ونفوسهم وعقولهم ، وحولهم فى بوتقته العظيمة المقدسة إلى مؤمنين بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فاطمأنت نفوسهم بالإيمان وامتلأت بالفضائل الإسلامية ، فدفعهم الإيمان من جزيرتهم القاحلة الضيقة إلى العالم الواسع الزاهر هداة مبشرين وقادة فاتحين فتحولت من قول الشعر إلى تلاوة القرآن ، ومن الفرقة الجاهلية إلى الوحدة الإسلامية ، ومن المفاخرة بالأحساب والأنساب إلى المفاخرة بالسبق فى دخول الإسلام . وما زال العرب كذلك حتى بردت حرارة الإيمان فى نفوسهم فبدت ميولهم الكامنة ورغباتهم المستورة تطل من عقولهم الباطنة حتى أصبحت الخلافة الإسلامية ملكا عضوضاً ، وانقسموا على أنفسهم ورجعوا إلى عصبياتهم النائمة فبعثوها بمفاخراتهم بالأحساب والأنساب وبالسبق للإسلام أيضاً ليتخذوا من هذا وسائل لتمهيد الملك وتعزيز السلطان ، فنشأ من هذا أدب سياسى ولكنه حزبى ، فهذاك على بن أبى طالب وهناك معاوية بن أبى سفيان ، يعزز كل منهما نظريته بالسيف والقلم واللسان ، فكان النضال العنيف الذى أنتج هذا الأدب